كُنّاشة: (٨)

كتاب "منافع القرآن العظيم"

المنسوب للإمام الصّادق(عليه السّلام)

إبراهيم عليّ السّفسيف

فيما يبدو، فإنّ السبب وراء تنوّع عناوين المصنّفات والمؤلّفات حول موضوع فضائل القرآن الكريم بين: فضائل/ثواب/منافع/خواصّ/فوائد/آثار القرآن، هو تنوّع مفاد الأحاديث الشريفة التي رُويت فيها.

فقد تنوّعت مفادات المرويّات الشريفة عند بيان فضائل القرآن، فتارةً تُعرّف عظمة القرآن ورفعة شأنه في عوالم الملك والملكوت، وأخرى تُعدّد ثواب تلاوته واستماعه في الآخرة، وثالثةً تُبصّر بخواصّه ومنافعه وآثاره الدنيويّة.

مع الإشارة إلى أنّ عنوان "فضائل القرآن" هو العنوان الأشهر استخدامًا من قبل المصنّفين والمؤلّفين حولها. وبنسبة لا تُقاس مع العناوين الأخرى، حسب ما وقفنا عليه عند إحصائها في أحد البحوث.

ومن بين الكتب التي خالفت العنوان الأشهر، كتاب منسوب للإمام جعفر بن محمّد الصادق(عليه السلام) بعنوان : "منافع القرآن العظيم" وبعنوان جانبيّ: "كتاب فيه خواصّ القرآن العظيم"، بتحقيق: عليّ موسى الكعبيّ. [صدر عن: شعبة البحوث والدراسات القرآنيّة-قسم دار القرآن، التابعة للأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة، ط٣/٢٠١٥م]

في كلمة دار القرآن ومقدّمة التحقيق لهذا الكتاب، ورد ما يحسن -فيما أظنّ- تداوله تداولًا علميًّا؛ سعيًا نحو الدقّة والتكامل. حيث نستعرضه، مع شيء من التعليق، كالآتي:

١. ذكر أبوالفرَج محمّد بن إسحاق النديم الورّاق(٣٨٤هـ) في "الفهرست": أنّ أُبيّ بن كعب الأنصاريّ أوّل مَن صنّف في "فضائل القرآن".

وهذا ينقض ما نُقل عن الحافظ السيوطيّ(٩١١هـ)، وما قاله حاجي خليفة(١٠٦٧هـ) في "كشف الظنون": أنّ محمّد بن إدريس الشافعيّ(٢٠٤هـ) هو أوّل مَن صنّف فيه في كتابه "منافع القرآن".(ص١١)

أقول: بحسب ما وقفنا عليه، فإنّ الشافعيّ مسبوق، بالإضافة إلى أُبيّ بن كعب الأنصاريّ(٣٠هـ) والإمام جعفر بن محمّد الصادق(عليه السلام)(١٤٨هـ)، بكتاب:

- فضائل القرآن، للحسن بن عليّ بن أبي حمزة البطائنيّ(القرن ٢هـ)،

- وفضائل القرآن، لعَمرو بن هاشم الكوفيّ(٢٠٠هـ)،

- وفضل القرآن، ليونس بن عبدالرحمن(٢٠٨هـ)،

- وفضائل القرآن، لعبدالرزّاق بن همّام بن نافع الصنعانيّ(٢١١هـ).

٢. نُسب كتاب "منافع/خواصّ القرآن" إلى الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق(عليه السلام) في النسخة المخطوطة التي اعتمدها المحقّق في تحقيقه، فقد جاء في صفحتها الأولى: "كتاب خواصّ فيه خواصّ القرآن العظيم، لجعفر الصادق(عليه السلام)".

ثمّ جاء بعد البسملة اسم الإمام الصادق(عليه السلام) مُوصِلًا نسبه إلى أمير المؤمنين(عليه السلام).

وذكر حاجي خليفة في "كشف الظنون" أنّ جماعة ممّن أفردوا منافع القرآن بالتصنيف. ثمّ قال: "وفيه مختصر مرويّ عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق". والظاهر يريد كتابنا هذا؛ لأنّه ورد بالاسمين في نسخة الأصل، فقد جاء في أوّلها: "كتاب فيه خواصّ القرآن". وفي آخره: "تمّ منافع القرآن". (ص١٢)

أقول: الضمير في (فيه) يعود على كتاب "منافع القرآن" للشيخ محيي الدين عبدالرحيم بن عليّ بن إسحاق بن مروان القرشيّ البونيّ(ت: ؟). [كشف الظنون: ١٨٣٥/٢] ونظرًا لكون كتاب "منافع القرآن" المنسوب للإمام الصادق(عليه السلام) مختصر في كتاب البونيّ، فقد شكّك البعض في نسبة الكتاب للإمام(عليه السلام)، بل واحتمل نسبة الكتاب للبونيّ نفسه.

٣. لهذا الكتاب نسختان مخطوطتان كلاهما في دار الكتب الظاهريّة بدمشق، هما:

الأولى: نسخة تامّة من القرن الثامن الهجريّ، مكتوبة بخطٍ نسخيّ معتاد. وتوجد في مجموع يحوي "منافع القرآن في المنام" و"منافع القرآن" للتميميّ، وهي النسخة المعتمدة في التحقيق.

والثانية: نسخة من القرن العاشر الهجريّ، كُتبت بخطٍ نسخيّ جيّد مشكول. أُصيبت بالطروبة الشديدة والتلف. وواضح أنّ هذه النسخة تختلف عن النسخة المتقدّمة [...] ممّا يدلّ على احتمال كون هذه النسخة هي المزيدة والمتضمّنة لأحاديث الإمام الصادق(عليه السلام).(ص ١٧-١٩)

أقول: كتاب " منافع القرآن في المنام" لمؤلِّف مجهول، ذكر فيه منافع قراءة كلّ سورة من سور القرآن العزيز قبل النوم. [نقلًا عن: فهرس المخطوطات المصوّرة في مكتبة الإمام الحكيم العامّة: ٣٥/١]

أمّا التميميّ صاحب كتاب "منافع القرآن"، فهو: أبوعبدالله محمّد بن أحمد بن سعيد الحكيم التميميّ المقدسيّ(حيًّا٣٩٠هـ) [كشف الظنون: ٧٢٧/١]، وكتابه -بحسب ما تتبّعتُ- مفقود، إلّا أنّ الشيخ الآغا بزرك الطهرانيّ، في حديثه عن كتاب حمل عنوان "خواصّ الآيات" بالفارسيّة لشخص اسمه المولى أحمد بن محمّد التميميّ، قال: "والمظنون أنّها ترجمة هذا الكتاب"[الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٢١٢/٢٢]. يقصد كتاب "منافع القرآن" للمقدسيّ الحكيم.

٤. لا توجد -وفق بحث المحقّق- أحاديث كتاب "منافع/خواصّ القرآن" المنسوب للإمام الصادق(عليه السلام) في شيء من كتب الرواية المتقدّمة عند الإماميّة كالكتب الأربعة والأصول السابقة أو المجاميع المعاصرة لها.

وأوّل مَن نقل روايات عن الإمام الصادق(عليه السلام) تُطابق ما ورد في هذا الكتاب السيّد ابن طاووس(٦٦٤هـ) في كتابه "الأمان من أخطار الأسفار والأزمان"، دون أن يُشير للكتاب ذاته.(ص١٣-١٦)

أقول: لعلّ الوقوف على سنة وفاة الشيخ محيي الدين عبدالرحيم بن عليّ بن إسحاق بن مروان القرشيّ البونيّ، تقطع بالتفريق والفصل بين كتاب "منافع القرآن" المنسوب للإمام(عليه السلام) وكتاب البونيّ، من خلال المقارنة بين وفاته ووفاة السيّد ابن طاووس. مع التأكيد أنّ عبارة حاجي خليفة واضحة في التفريق والفصل بين الكتابين.

٥. فيما يخصّ صحّة الكتاب، فقد قال علماء الدراية إنّ صحّة الحديث لا تعتمد على السند فحسب، بل على القرائن الداخليّة والخارجيّة. وبما إنّ هذه الأحاديث عبارة عن وصفات طبيّة وحياتيّة فهي غير خاضعة لقاعدة العرض القرآنيّ أو العقل أو غيرها من القواعد. بل هي خاضعة للتجربة، والتجربة خير برهان على صدق هذه الأحاديث؛ لأنها أحاديث طبيّة ونفسيّة، والطبّ من العلوم التجريبيّة.(ص٦)

أقول: لا تقف أحاديث الكتاب عند الوصفات الطبيّة والحياتيّة، وإنْ كان أغلبها كذلك. بل تضمّنت أيضًا الأجر والثواب وغفران الذنوب وأمور أخر. هذا أوّلًا.

وثانيًا: تحقّق الأثر الخارجي لمنافع/خواصّ القرآن لا يرتبط فقط بتجربة ما في تلك الأحاديث، بل يرتبط أيضًا بأمور نفسيّة وغيبيّة أيضًا. فما في الأحاديث هو على نحو المقتضي لإحداث الأثر لا العلّة التامّة له.

وثالثًا: مادام النصّ غير معارض بآخر، وليس هناك مانع عقليّ صريح يحول دون الأخذ به، فيمكن الاستناد إلى قاعدة التسامح في أدلّة السنن وقاعدة مَن بلغ، في صحّة أحاديث هذا الكتاب، عند مَن يرى تماميّة هاتين القاعدتين.

الإثنين: ٧ جمادى الثاني ١٤٤٦هـ/ ٩ ديسمبر ٢٠٢٤م.